عنوان المحاضرة:

النظريات التجزيئية في العلاقات الدولية:

نظرية النظم في العلاقات الدولية

الدرس الاول:

ظهر مفهوم النظام في العلوم السياسية من خلال المنطق التحليلي الجديد الذي طرحته النظرية العامة للنظم، والتي حاولت إيجاد بديل تحليلي للباحثين في مجال العلوم الاجتماعية انطلاقا من مفهوم النظام كوحدة تحليل أساسية لدراسة هذه الظواهر.

فيجد مفهوم النظام جذوره في ميدان العلوم الطبيعية و العلوم التجريبية أين تدرس الظواهر الطبيعية و الفيزيائية على أنها أنظمة يؤثر بعضها ببعض، و قد حاول الباحثون في ميدان العلوم الاجتماعية استخدام هذا المفهوم و إسقاطه على دراسة الظواهر الاجتماعية، من حيث كونها مجموعة من الأنظمة (النظام الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي، السياسي...) و التي تحدد في إطار تفاعلاتها الملامح العامة للمجتمع. و قد ظهر مفهوم النظام لأول مرة في العلوم الاجتماعية على العموم من خلال إسهامات المدرسة السلوكية التي حاولت دراسة الظواهر باستخدام المنهجية العلمية من خلال طرح مصطلح النظام كوحدة تحليل أساسية، و قد تجلت إسهامات هذه المدرسة في ما قدمه أصحاب نظرية النظم (و تسمى النظرية العامة للنظم) و التي حاولت دراسة الظواهر الاجتماعية على أنها مجموعة من الأنظمة التي تتشكل من عناصر تربطها علاقات تفاعل و اعتماد متبادل فيما بينها، و بالتالي يجدر التركيز على هذه التفاعلات من اجل فهم النظام ككل، كما يمكن دراسة التفاعلات القائمة بين الأنظمة المختلفة المشكلة للنظام الاجتماعي ككل، حيث ترى هذه النظرية انه يتشكل من مجموعة من الأنظمة الفرعية مثل النظام الاقتصادي، النظام السياسي...

و يشير مفهوم النظام إلى كونه مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها بعلاقات تفاعلية وظيفية تشكل في مجموعها كلا موحدا فيعرف بكونه :" **مجموع العناصر المادية و غير المادية التي تترابط ترابطا يجعلها تؤلف كلا منظما** و يعرف أناتول رابوبورت النظام بقوله:" **إن المجموع الذي يعمل ككل نتيجة الاعتماد المتبادل بين الأجزاء هو ما يمكن تسميته بالنظام** . و انطلاقا من هذين التعريفين يتشكل النظام من

مجموعة من الوحدات تتفاعل فيما بينها حيث أن أي تغيير يمس احد هذه الوحدات يؤدي إلى حدوث التغيير في باقي الوحدات بذلك يتشكل النظام من:

أ. مجموعة من العناصر(الوحدات).

ب. تترابط هذه الوحدات بنمط من الاعتماد المتبادل و علاقات تفاعلية فيما بينها.

ت. تشكل هذه الوحدات في مجموعها كلا موحدا.

ث. وجود قانون داخلي يحكم التفاعلات بين الوحدات.

كما أن هناك من يشدد على مس ألة الحدود بالنسبة للنظام و التي تحدد تفاعلاته مع بيئته الخارجية (باقي النظم)، فيرى روبرت دال بضرورة مراعاة الجوانب التالية عند دراسة أي نظام:

أ. معرفة (ترسيم) حدود النظام (ما يقع في نطاقه، وما هو خارجه).

ب. طبيعة النظام إن كان عنصرا في نظام آخر أو نظام فرعيا من نظام آخر.

ت. بعض النظم قد تكون نظما فرعية لنظامين مختلفين أو أكثر لا يتداخلان إلا جزئيا.

و قد تمثلت أولى محاولات تطبيق مفهوم النظام في دراسة الظواهر السياسية عمد عالم السياسة الأمريكي **دافيد إستون David Easton** إسقاط المنطلقات الأساسية للتحليل النظمي من خلال تطوير المقترب النظمي لتحليل النظم السياسية و قد قسم من خلاله عناصر النظام السياسي إلى: مدخلات، عملية التحويل، مخرجات و التغذية الاسترجاعية.

أما في مجال العلاقات الدولية فقد طبق التحليل النظمي من خلال في العديد من المجالات في تحليل السياسة الخارجية و التفاعلات الدولية منها:

- دراسة نماذج النظام الدولية من خلال التركيز على انماط التفاعل داخلها(مثل مقاربة كابلان)
- دراسة العمليات التي يتفاعل من خلالها صناع القرار مع بعضهم البعض في اطار البيئة الدولية.
- دراسة التفاعل بين النظام السياسي لوحدة دولية معينة مع نظمه الفرعية الداخلية (الراي العام، الاحزاب، جماعات الضغط...)
- دراسة التفاعل بين نظام دولية معينة و باقي الفواعل في النظام الدولية باعتبارها نظما فرعية تتأثر ببعضها.
- دراسة تأثير النظام الدولية على النظام الداخلي في الدولة....

و قد اختلفت المقاربات النظرية التي يمكن إدراجها ضمن التحليل النظمي عموما و التي من بينها طروحات كل من مورتون كابلان، ماكليلاند، ريتشارد روزيكرانس...و على اختلاف طروحاتهم النظرية إلا أنهم يشتركون في مجموعة من النقاط التي تمي التحليل النظمي عموما و هي: الاهتمام بالعناصر التي تساهم في استقرار أو اضطراب النظام، التركيز على عوامل التكيف و التوازن في النظام،... رغم إجماعهم حول خاصية التغيير في النظام الدولي... (النظريات المتضاربة ص: 115)

الدرس الثاني:

مورتون كابلان و التحليل النظمي للعلاقات الدولية:

يعتبر **مورتون كابلان** من أوائل من استخدم مفهوم النظام في مجال العلاقات الدولية من خلال تحديد نماذج التفاعل داخل النظام الدولي. و يقول هنا أن التحليل العلمي للظواهر السياسية يتطلب تحليها تحليلا نظميا على أنها نظام للفعل system of action يحوي مجموعة من المتغيرات التي يؤثر بعضها على الآخر. كتاب كابلان ص20

و قد طرحها في كتابه *System and Process in International Politics* سنة 1957. حيث وضع ست نماذج لنظم دولية افتراضية، كما يرى أن النظام الدولي يحوي ضمن نظمه الفرعية مجموعة من الفواعل الدوليين التي يصنفها كابلان إلى: **فواعل وطنية** و هي الدول مثل: فرنسا و م ا و **فواعل فوق وطنية** مثل المنظمات الدولية و يصنفها إلى الفواعل الكتل blok actors مثل حلف الناتو و فواعل عالمية universal actors مثل الأمم المتحدة.

كما يعترف كابلان بأن الأنظمة الدولية التي وضعها ليست الأشكال الوحيدة للنظم الدولية و لكنها حسبه الأكثر تمثيلا و شيوعا.و قد حدد ضمن كل نموذج منها مجموعة من المتغيرات صنفها إلى خمس أنواع: قواعد رئيسية، قواعد التحول، المتغيرات التصنيفية للأطراف، متغيرات القدرة، متغيرات إعلامية.

⇐ **القواعد الرئيسية:** هي القواعد التي تصف السلوك الضروري للحفاظ على التوازن في النظام.

⇐ **القواعد التحويلية:** و المتعلقة بالمدخلات التي تحدد التغير في النظام و تؤدي إلى تغييره من شكل لآخر.

⇐ **متغيرات تصنيفية:** تمثل الخصائص البنائية التصنيفية للأطراف في النظام.

⇐ **متغيرات القدرة:** تمثل مستويات التسليح و عناصر القوة الأخرى لدى الأطراف.

⇐ **المتغيرات الإعلامية:** تتمثل في مستويات الاتصال الداخلي بين عناصر النظام.

و وفقا لهذه المتغيرات حدد **كابلان** ست أنواع للنظم الدولية و هي:

أولا: نظام توازن القوى: و يتميز هذا النظام بمجموعة من القواعد حددها كابلان في:

- الدولة هي الفاعل الأساسي في هذا النظام مع الاعتراف بوجود فواعل أخرى محدودة التأثير مثل المنظمات الدولية.
- نظام توان القوى يحوي على الأقل خمس فواعل و أكثر.
- تسعى الدول الأطراف فيه إلى زيادة قوتها و قدراتها بالاعتماد أساسا على التفاوض بدلا من الصراع.
- قد تلجأ الدول للصراع بدلا من تفويت فرصة زيادة قدراتها.
- قد توقف الدول القتال بدلا من تصفية طرف رئيسي آخر.
- ترفض الأطراف أي تحالف قد يؤدي إلى تولي طرف مركز المهيمن في النظام.
- ترفض الأطراف وجود المنظمات الفوق قومية.

و الملاحظ هنا أن هذا النوع من الأنظمة يشابه النظام الدولي الذي تكلم عنه الواقعيون التقليديون، و يرى **كابلان** أن هذا النوع من الأنظمة يتطلب قيام العديد من القوى الدولية كالتي سادت في أوربا خلال القرن التاسع عشر، و أن الضامن الأساسي في هذا النوع من النظم هو المصلحة الذاتية للدول و التي تحول دون وجود طرف مهيمن لأنه يعتبر تهديدا لباقي الأطراف.

الدرس الثالث:

ثانيا: نظام الثنائية الهشة: يتكون هذا النظام من كتلتين كبيرتين bloc actors قد تكون تحالفا بين العديد من الأطراف ضد بعضها البعض إلى جانب أطراف هامة غير مرتبطة بالكتلتين، إضافة إلى الأطراف الدولية مثل المنظمات الدولية و يشبه هذا النوع من النظم النظام الدولي الذي ساد خلال فترة الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية و الغربية إلى جانب أطراف أخرى مثل دول عدم الانحياز و الأمم المتحدة.

و ما يميز هذا النظام من حيث قواعد السلوك فيه:

- أن كل كتلة تسعى لتصفية الكتلة الأخرى من خلال العديد من التكتيكات: المفاوضة، الحرب...
- أطراف كل كتلة تسعى لزيادة قوتها بما يفوق قدرات الكتلة الأخرى.
- أطراف كل كتلة مستعدة للدخول في حالة الحرب للحيلولة دون هيمنة الكتلة الأخرى.
- تحاول كل كتلة إخضاع الأطراف العالمية لخدمة أغراضها الخاصة.

ثالثا: الثنائية المحكمة: يتميز هذا النوع من النظم خصوصا عن النظام السابق بإحكام طابع الثنائية فيه، حيث يقل عدد الأطراف فيه و هيكل الكتل فيه يكون أكثر استقرار من النظام السابق و ذلك راجع لطابع الهيراركية الذي تنتظم فيه كل كتلة (تتشكل كل كتلة من قوة كبرى مسيطرة و قوى متوسطة وصغيرة و طابع العضوية فيه يتسم بالصرامة) بحيث لا تسمح بتغير التحالفات بين الأطراف. أما عن قواعد السلوك فهي نفسها بالنسبة للنظام السابق.

رابعا: النظام العالمي: يظهر هذا النظام في ظل تزايد دور الطرف العالمي كالمنظمات الدولية، تشرف فيه هذه الأطراف العالمية على العلاقات التكاملية و التعاونية بين أطرافه و تقدم مكافأة للدول التي تساهم في ذلك بغض النظر عن طبيعتها و يشترط كابلان هنا منح هذه المنظمات صلاحيات إضافية واسعة لهذه المنظمات من اجل القيام بعملها. أما عن قواعد السلوك التي حددها **كابلان** هنا:

- كل الأطراف يسعون لزيادة مكافآتهم و قدراتهم للوصول إلى مرافق النظام.
- كل الأطراف يسعون لزيادة موارد و نشاطات النظام الدولي.
- كل الأطراف يسلكون سلوكا سلميا لتحقيق أهدافهم.
- الأفراد الذين يعملون داخل النظام يتصرفون بناءا على المصلحة العامة للنظام ككل.

و يقر **كابلان** بإمكانية و رغبة بعض الأطراف في ظل هذا النظام إلى تغيير النظام نحو الطابع التوازني أو الثنائي ذلك لأنها لازالت غير مستعدة لتقديم تنازلات للأطراف الدولية أو أنها غير مستعدة للانسجام مع قواعد النظام العالمي.

خامسا: النظام الهرمي: ينشأ هذا النوع من النظم نتيجة لانتصار احد الأطراف و توليه قمة الهرم السلطوي العالمي هذا من جهة و من جهة ثانية يتميز هذا النوع من النظم يتراجع دور الوحدات القومية لصالح الوحدات الوظيفية كما سماها كابلان، حيث تقوده جماعات الضغط و المجموعات الوظيفية كالاتحادات و النقابات و له معاييره الخاصة التي تثبت تماسكه و وظائفه، و يتسم بقدرته على الاستقرار نظرا لقنوات الاتصال القائمة بين أقاليمه إضافة إلى التحكم المركزي الذي يحول دول خروج أي إقليم عن السيطرة و هو ما يصعب إمكانية التغيير فيه.

سادسا: نظام الوحدة المعترضة أو وحدة الفيتو : يتميز هذا النظام بإمكانية تدمير كل طرف للأطراف الأخرى داخل النظام بمعنى إذا ما استخدم أحد الأطراف القوة ضد الطرف الآخر فسيؤدي إلى تدمير الطرفين معا (الردع). و هو ما يضمن استمرار النظام على حاله، و أن التغيير في النظام ممكن الحدوث في حال ما استطاع طرف ما ابتزاز باقي الأطراف لجانبه ضد احد الأطراف الذي يؤدي إلى تدميره و بالتالي التناقص في عدد الأطراف.

و ما يمكن ملاحظته على نماذج **كابلان** أنها نماذج افتراضية حيث أن شكلين فقط منها ما يمكن مقارنة بالنظم الدولية الواقعية (نظام توازن القوى و القطبية الثنائية المرن). و لكنه من الناحية المنهجية تمكن تقديم تحليل نظمي يمكن الباحثين من تحليل الأنظمة الدولية تحليلا مقارنا.

و من ناحية أخرى فتحسب لصالح المقاربة النظمية عموما بتوسيعها لدائرة الاهتمام و التحليل في العلاقات الدولية لما يتجاوز الحقل التحليلي لهذا الميدان، حيث يشدد أصحاب المقترب النظمي على إمكانية تأثير و تأثر الأنظمة الدولية بباقي النظم الأخرى في إطار العلاقة بين النظام الدولي و نظمه الفرعية و بين النظام الدولي و النظم الكلية الأخرى كالنظام الثقافي، الاقتصادي.... الدولي.

قائمة المراجع المعتمدة:

الكتب:

1. حسن صعب، **علم السياسة**، ط:4 بيروت: دار العلم الملايين.1976.
2. جيمس دورتي ،روبرت بلتسغراف، **النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية**، **(تر**: وليد عبد الحي)، الكويت: كاظمة للنشر و الترجمة و التوزيع، 1985.
3. روبرت دال، **التحليل السياسي الحديث**، (تر: علا أبو زيد)، ط:05.القاهرة: مركز الأهرام للترجمة و النشر.1993